



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

JTUH
 مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
 Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: <http://www.jtuh.com>

Ibn Khaldun and his idea of education

A B S T R A C T

Furat Amin Majid

Center for Research on Childhood and Motherhood

University of Diyala

Keywords:

Introductionfi
 Definitions of search terms:
 Educational thought
 Ibn Khaldun:

ARTICLE INFO

Article history:

Received 10 jun. 2017
 Accepted 22 January 2017
 Available online 05 xxx 2017

Journal of Tikrit University for Humanities

Each era of his thought is characterized and the philosophy of his life, and the early Muslims succeeded intellectually and educationally heritage should cherish, because it reflects the last image, and thus glows us through the present and the future, as far as Rjuana him and Aihaddena him, and take him to what is consistent with the current circumstances of contemporary and our issues, we unfortunately do not know only a few of our heritage out of ignorance, or the tradition of Western Educational

So we had and we are in the beginnings of atheist and the twentieth century to get back to our thinking and our heritage Arab-Islamic, and take advantage of it because the work for the present and the future is not only by reference to the past and that "because of our present does not dispense with our past, and a thorough examination of the land on which the new construction"

As the educational thought in Islam based on the Koran and the Sunnah, it was the first school of Islam is seen Dar al-ArqamibnAbiArqam in Mecca, then had his mosque in the city is the second .

© 2018 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.25.2018.05>

ابن خلدون وفكره التربوي

د. فرات أمين مجيد/جامعة ديالى/ مركز أبحاث الطفولة والأمومة

الخلاصة

يتميز كل عصر بفكره وفلسفه حياته ، والمسلمون الأوائل خلفوا تراثاً فكرياً وتربوياً ينبغي أن نعتز به ، لأنه يعكس صورة الماضي ، وبالتالي يضيء لنا طريق الحاضر والمستقبل ، بقدر رجوعنا إليه واستشهادنا به ، وأن نأخذ منه ما يتفق مع ظروفنا الراهنة وقضايانا المعاصرة فإننا للأسف لا نعرف إلا القليل من تراثنا عن جهل ، أو تقليد للتربية الغربية (1)

* Corresponding author: E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

لذا وجب علينا ونحن في بدايات القرن الحادي والعشرين أن نعود إلى فكرنا وتراثنا العربي الإسلامي ، وأن نستفيد منه لأن العمل للحاضر والمستقبل لا يتم إلا بالرجوع إلى الماضي وذلك " لأن حاضرننا لا يستغني عن ماضينا ، وعن الفحص الدقيق لأرضه التي يقوم عليها البناء الجديد " (2).

ولما كان الفكر التربوي في الإسلام يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فقد كانت أول مدرسة شهدها الإسلام هي دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة ، ثم كان مسجده في المدينة هو الثاني (3) . وبمرور الأيام وتغيرات المجتمع الإسلامي ظهر الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاسفة وظهر معهم فكر تربوي إسلامي أساسه القرآن الكريم والسنة . ومن هؤلاء ابن خلدون والذي عُرف على أنه عالم اجتماع ولكن له آراء تربوية ذكرها في كتابه المقدمة ، وسوف يسعى هذا البحث للوقوف على هذه الآراء وربطها مع الحياة المعاصرة .

فالتربية الإسلامية هي النابعة من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وفي الوقت الحاضر يناهز علماء التربية المسلمين بإتباع أقوال علماء الغرب من غير المسلمين، ومع أن بعض آرائهم جيدة ، إلا أن الكثير منها يخالف الإسلام ، لذا وجب علينا الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة وإلى تراث علماء الإسلام للاستفادة منه في حل قضايانا المعاصرة ، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث في السؤال التالي : ما هي الآراء التربوية لابن خلدون ؟ وتبرز أهمية البحث في أنه يسعى إلى التعرف على الآراء التربوية لابن خلدون، وأثر هذه الآراء في الوقت الحاضر، وهل هذه الآراء تستجيب لحاجات المجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر .

المقدمة

منذ أن وجد الإنسان على الأرض عرف التربية ، ورغم اختلاف أساليب معرفته وتنوع طرائقها على مر العصور وعبر الأجيال ، فقد عرفها بأبسط صورها وهو يعيش في الأدغال والكهوف والوديان وكان دائم التفاعل مع الكون بما فيه حتى يتمكن من الحياة والاستمرار فيها . وكانت تربية الإنسان حينذاك تربية مباشرة يمارسها الفتى عن طريق محاكاة والده ، والفتاة عن طريق تقليد والدتها في إدارة أمور المنزل وأداء الأعمال اليومية ، وكانت العلاقات الاجتماعية بسيطة أسلوبها التعامل المباشر ، ولما توالى الأيام وكثر الناس وتعددت احتياجاتهم شرعوا إلى بناء المنازل وأقاموا المدن وبنو الحضارات بما اهتموا إليه من علم وفكر وفن ، يعلمونه لأبنائهم وهؤلاء بدورهم يضيفون إليه بما ابتكروه ومع الأيام تطورت الحياة وتباينت نظمها واختلقت طرقها في تشكيل شخصية الفرد وتكوين اتجاهاته وقيمه . ولما كان الإنسان هو الكائن الذكي والواعي والمفكر والمتطور والمتجدد وهو بالتالي دائم التغيير هدفه أن يعيش حياة أفضل . وهذه هي حركة التربية في مجتمعات البشر منذ القدم .

تعريفات مصطلحات البحث :

1-التربية : تعرّف التربية بأنها " تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف " (4) ويقصد بها عند علماء التربية نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة ، ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً لتكون نمطاً خاصاً بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته (5) .

2-التربية الإسلامية : تعرّف بأنها " المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام " (6) .

ويمكن تعريفها من خلال الربط بين مفهوم التربية ومفهوم الإسلام بأنها " إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه من وجهة نظر الإسلام " (7) .

3- **الفكر التربوي** : ويقصد به الآراء والتصورات والمبادئ التي قدمها علماء التربية أو النظرية التربوية كما يتصورها علماء التربية (8). فالفكر التربوي هو " ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الإنساني ، وتنمية الشخصية وشحذ قدرتها ويتضمن النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان " (9) .

4- **الفكر التربوي الإسلامي** : وهو عبارة عن مجموعة الآراء والأفكار والنظريات التي احتوتها دراسات الفقهاء والفلاسفة والعلماء المسلمين وتتصل اتصالاً مباشراً بالقضاء والمشكلات التربوية (10) .

ابن خلدون :

هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد ، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي ، من ولد وائل بن حجر ، الفيلسوف العالم الاجتماعي ، أصله من إشبيلية ، ومولده ونشأته بتونس ، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلدات ، أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع ، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية وغيرها (11) ، وكانت ولادته في تونس غرة رمضان 732 هـ الموافق 27 مايو 1332م (12) ، وتوفي في 26 رمضان سنة 808 هـ الموافق 16 مارس 1406م وسنه 76 سنة ، ودفن خارج باب النصر بمقبرة الصوفية في القاهرة (13) .

أهداف التربية عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن للتربية أهدافاً هي :

1- إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط .
2- إعطاء الإنسان الفرصة لكي يحيى حياة طيبة في مجتمع راق متحضر .

3- إعطاء الإنسان الفرصة لكسب الرزق وتنمية الخصال الحميدة فيه ويعتبر أن الأساس في التعلّم القرآن الكريم (14) . وقد ذكر علي وآخرون (15) أن ابن خلدون قسم العلوم إلى قسمين :

الأول : العلوم النقلية : وهي العلوم التي ينقلها الإنسان عن وضعها، وكلها مستندة إلى الخبر من مصدره الشرعي ولا مجال للعقل فيها ، إلا إلحاق الفروع بالأصول ، ومن هذه العلوم ، علم التفسير ، علم القراءات ، علوم الحديث ، علم أصول الفقه ، علم التوحيد ، علم البيان ، علم الأدب .

الثاني : العلوم العقلية ، وهي التي يهتدي إليها الإنسان بعقله وهي تشمل علم المنطق والعلم الطبيعي ، والعلم الإلهي (ما وراء الطبيعة) وعلم النظر في المقادير (الرياضيات والفلك والهندسة) .

وقد رتب ابن خلدون العلوم بحسب أهميتها للمتعلم على النحو التالي :

1- العلوم الدينية وهي العلوم المقصودة بالذات مثل القرآن الكريم والحديث الشريف .

2- العلوم العقلية وهذه أيضاً علوم مقصودة مثل العلم الطبيعي .

3- العلوم الآلية المساعدة للعلوم الشرعية مثل اللغة والنحو والبلاغة .

4- العلوم الآلية المساعدة للعلوم العقلية مثل علم المنطق (16) .

الفكر التربوي لابن خلدون

لا ريب أن ابن خلدون يحتل مكانة متميزة في تراثنا العربي والإسلامي، وحتى في الفكر الغربي المعاصر، وينظر إليه على أنه صاحب مشروع ورؤية حضارية خاصة، ولاسيما فيما يتعلق بدراسة التاريخ البشري، والمجتمع الإنساني، وال عمران الحضاري، أضف إلى ذلك عبقرية ابن خلدون في الفكر الاقتصادي والتربوي والسياسي وغيرها من الحقول المعرفية، ويشار إليه صاحب منهجية في النظر والتفكير والبحث والتفسير، مثلث في زمانه قفزة لإبداعية متميزة ووصفت بعض إنجازاته على الأقل بأنها غير مسبوقه، باعتباره مؤسسها، وأنها لم تكن معروفة قبله، فهو لم يكن غريباً عن مختلف ميادين المعرفة العلمية، بل كان ذا ثقافة موسوعية، لديه إحاطة بالعديد من العلوم، وإماماً واسعاً بالعلوم الأخرى، فعلى الرغم من تخصصه بدراسة الظواهر الاجتماعية، وتوصله إلى أنها محكومة بالقوانين والسنن نفسها التي تحكم سلوك الظواهر الطبيعية، وإقامته لعلاقة قوية بين البيئة الطبيعية (الجغرافية)، والسلوك البشري والاجتماعي والنفسي، وكذا دراسته للعلوم الإسلامية النقلية- حيث تشهد إسهاماته بتبحره في علوم القرآن والسنة والفقه، حتى عد مؤهلاً لتولي منصب قاضي قضاة المالكية

بمصر، وشهرته عند عامة الناس بأنه صاحب الفضل في إرساء قواعد فلسفة التاريخ وصار يذكر في الكتب الحديثة بأنه منشئ علم الاجتماع العمراني، وهذا اعتراف بجزء مما أبدعه الرجل: "قابن خلدون": "يجهل قدره كثير من الناس، بل إنهم يعرفونه على أنه عالم اجتماع ليس إلا.

ولكن هناك من اللسانيين من يجد في المقدمة مخزوناً من الاستطرادات الثرية التي تدل على جملة من الأفكار اللسانية التربوية التي لا تقل أهمية عما توصل إليه البحث اللساني واللساني التطبيقي عند الغربيين" (17) لم يغفل الرجل عن تقديم شتى الأفكار التربوية لرجال التربية والتعليم في عصره، وهي جديرة بالأخذ في عصرنا؛ لأنها لا تقل أهمية عما يذهب إليه علم اللسان التربوي الحديث. وهذا بعد نقده اللاذع للطرائق التعليمية التي كانت سائدة في عصره، وكيفية تأدية المعلمين لها: "وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا، يجهلون طرق التعليم وإفاداته ويحضرون للمتعلم في أول تعليمه المسائل المقلدة من العلم ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فيمبادئها" (18)

لقد تناول ابن خلدون في مقدمته عديد من العلوم التي صنفها تصنيفات كثيرة، وكان لعلوم اللسان النصيب الأوفر والجزء الأهم، حيث بنى اللسان العربي على أربعة أركان ورتبها مراتب متفاوتة ومختلفة، بحسب المقاصد التي يقصدها المتكلم: "وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة...". .. جاعلاً النحو أولها، فهو الذي له حق التقدم على هذه العلوم المذكورة، إذ هو الموصل إلى صواب النطق، المقيم لزيغ اللسان، المؤدي إلى محمود الإفصاح، يستعان به في فهم سائر العلوم، وكان لذلك في نفسه أغراض: "والذي يتحصل أن المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة" (20).

كما حرص المصلح الاجتماعي والتربوي على تحديد منهج خاص بالتربية، ذلك المنهج الذي لا تختلف أسسه ومبادئه عما يدعو إليه علم اللسان التربوي الحديث، بل يتميز عن المناهج الجديدة ببساطته وتدرجه في المعرفة واستناده إلى الحفظ والذكر، وتمسكه ببساطة المعلم، وبنظام صارم للثواب والعقاب.

وتظهر معالم منهجه التربوي في الطريقة الناجعة التي رسمها في تعليم الناشئة، وفي تحديده للأداب والشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم، فقد أكد صراحة أن عملية التعلم والتعليم طبيعية في العمران البشري، فالإنسان متميز عن سائر خلق الله بالفكر الذي يهتدي به، فهو تواق إلى تحصيل ما ليس عنده من الإدراكات، فينشأ عن ذلك موقف تعليمي. وتقوم عملية التعلم عادة على ثلاثة أعمدة، وهي المعلم والمتعلم والطريقة. وتتحقق الأهداف التربوية والتعليمية بمقدار ما يتوفر لهذا الموقف التعليمي من شروط (21). ذلك أن التعلم عموماً هو "اكتساب العلوم واجتلابها إلى القلب" (22). قال ابن خلدون: "أعلم أن العلوم البشرية خزانتها النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها التصور للحقائق أولاً، ثم بإثبات العوارض الذاتية لها أو نفيها عنها ثانياً...". (23).

ومن الصعب الفصل في أي علم بين المنهج والموضوع، فبدون منهج تصبح كل دراسة علمية لأي موضوع (24). أو ظاهرة مستحيلة، فلا يمكن تطبيق أي منهج، دون توفر موضوع.

وفي ضوء هذا أورد ابن خلدون في أثناء تحديده للمنهج التربوي السليم شروطاً، دينية، ودينية، وينبغي على المعلم والمتعلم التحلي بها، حتى تكون عملية التعليم ناجحة، ومثمرة، فمن البديهي أن الإنسان لا يتعلم أية خبرة أو مهارة فكرية إلا إذا كان حاصلًا على الشروط اللازمة للقيام بمثل هذه العملية، وتتحصّر هذه الشروط في هذه المبادئ:

أولاً: شروط المعلم (المربي):

1- الإحاطة بمبادئ التعليم وعدم الشدة على المتعلمين: يعد المعلم العنصر الأساس في العملية التربوية، فهو المتصرف في قلوب البشر، وهو أيضاً بمثابة الطبيب المعالج للنفس من مرضها وجهلها بالعلوم، بل إن مهمته أخطر فيما يرى "الغزالي أبو حامد" من مهمة الطبيب؛ لأن الأول متصرف في العقول والقلوب في حين أن الثاني متصرف في الأبدان، وشتان ما بين النفس والبدن، فمهمته إذن شريفة، إلى الحد الذي تجعله وريثاً للأنبياء، ومن تصدر لهذه المهمة فقد تقلد أمراً عظيماً يفرض عليه آداب وشروط، كأن يكون المربي قادراً على التعليم، وذا كفاءة، غير مستبد، ولا يكون قاسياً غليظاً مع المتعلم؛ لكي لا

يجره إلى الكذب: "وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الممالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاها إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة...".⁽²⁵⁾ وأن يكون ذا ثقافة عامة تمكنه من إفادة المتعلمين إفادة متنوعة، توسع في الوقت نفسه من أفاقه المعرفي وتحفظه من بلبلة أفكارهم بالمعلومات الخاطئة أو المعارضة أو من مغبة التعصب الأعمى ضد العلوم التي لم يعرفها عن قرب أو بعد، فالناس أعداء لما يجهلون كما يقال، وأن يلم بطرائق التعليم ومبادئه ومهاراته، متوقفا عند مسائله، مستتبطا فروعها من أصوله، حتى يكون التعليم مزدهرا ومحققا لأهدافه: "إن فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشترك بين من شدا إلى ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يعرف علماً...".⁽²⁶⁾، باعتبار التعلم صناعة شأنها شأن باقي الصناعات الأخرى كما ورد على لسان ابن خلدون، فنجاحها وفشلها يرتبطان بالقائمين عليها، والمعلمون هم سند هذه الصناعة، وهذا المبدأ يمثل اليوم إحدى الاهتمامات الرئيسية لمشرفين على قطاع التربية والتعليم، حيث سنت الوزارة برامج تخص تكوين المكونين، وأحدثت المراكز والهيئات لاستقبال رجال التربية والتعليم؛ وهذا كله بهدف توسيع وتجديد معلومات المربين، وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية.

2- الإيجاز المفيد في تقديم المسائل العلمية وحسن الانتقاء:

دعا ابن خلدون المربين إلى عدم الاستكثار من العلوم الآلية التي لا ينبغي أن توسع فيها الأنظار ولا توسع فيها المسائل، منها على سبيل المثال لا الحصر علم النحو، وبرر ذلك بأن التعمق والاستكثار من مسائله المقلقة سيخرجها عن المقصود، ويصير الاشتغال بها لغواً، خاصة ونحن نعلم أن النحو العربي أنحاء ومدارس مختلفة، وأن الهدف الأسمى منه هو معرفة صواب الكلام من أخطائه، وإصلاح الألسنة من اللحن أو اللكنة كما قال الشاعر⁽²⁷⁾:

النحو يصلح من لسان الألكن والمرء تكمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها نفعاً مقيم الألسن

وهو في هذا المذهب ينحو نحو الجاحظ "ت 255هـ" الذي دعا إلى ضرورة تعليم النحو الوظيفي الذي يجري في المعاملات، والتمييز بين النحو كعلم والنحو كتعليم، تضمن ذلك قوله: "وأما النحو فلا تشغل قلبه (قلب الصبي) منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به...".⁽²⁸⁾

وعليه فإن الاشتغال والإكثار من المسائل، يصير في رأيه من باب اللغو، جاء ذلك في قوله: "... وهذا كما فعله المتأخرون في صناعة النحو... لأنهم أوسعوا دائرة الكلام فيها نقلاً واستدلالاً، وأكثروا من الفروع والمسائل بما أخرجها عن كونها آلة وصيرها مقصودة لذاتها، وربما يقع فيها لذلك أنظار ومسائل لا حاجة بها في العلوم المقصودة بالذات فتكون لأجل ذلك من نوع اللغو، وهي مضرّة أيضاً بالمتعلمين على الإطلاق".⁽²⁹⁾

كما نبه ابن خلدون أيضاً إلى أن الاختصار المخل سيحدث لا محالة ضرراً في إيصال المعاني، والإكثار منها في العلوم يخل بالتعليم: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدنون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم...".⁽³⁰⁾

والرأي أن هذه الأفكار التربوية التي أقرها ابن خلدون في القرن الثامن الهجري قد أكدتها اللسانيات التربوية الحديثة.

3- المتابعة والاستمرار في تلقين العلم وعدم الخلط بين الفنون:

أح ابن خلدون على عدم الانتقال من مسألة علمية إلى مسألة أخرى قبل فهم المتعلم للمسألة الأولى، ولذا يجب عليه الاستمرار في تلقين المسألة الواحدة إلى أن ينتهي منها، ويتحقق أن المتعلم قد استوعبها، وحذر من انقطاع المجالس

والتفريق فيما بينها؛ لأن ذلك يؤدي إلى النسيان أولاً، ويؤول إلى عدم تعلق المسائل بعضها ببعض ثانياً، جاء ذلك في قوله: "وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض..." (31).

كما نبه إلى عدم الخلط بين المسائل، في قوله: "... ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً، فإنها حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما..." (32). وهو بهذا يؤكد على الجانب المنهجي في طريقة التلقين، بعدم الخلط بين علمين؛ لأن ذلك من شأنه يؤدي إلى خيبة الأمل لدى المتعلم، حيث يصرف باله، ويضعف ملكته في النفس أو يؤخرها على الأقل؛ لانصراف الذهن، مما ينبغي الاهتمام بمسائل العلم المولدة للملكة العلمية (33). وعدم الخلط بينها.

4- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

ينبه ابن خلدون من خلال آرائه التربوية إلى الإقرار بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، فالعوامل النفسية والجسمية والبيئية تؤدي دوراً أساسياً في تحديد حجم التعلم، بحيث يتفاوت ذلك الحجم بين فرد وآخر، فالأفراد يختلفون في درجة الذكاء وفي قدرة الاستيعاب: "... وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه..." (34).

ومراعاة هذا المبدأ أكده العلم اللساني الحديث؛ ذلك أن الأنام لا يتكلمون على منوال واحد، بل تجدهم، حتى في حالة انتمائهم إلى المحيط الاجتماعي نفسه، يختلفون في سرعة السرد، ويتفاوتون في رصيدهم من المفردات (35) ويتميزون من حيث الصوت، ومن جملة تلك الفروق، ما يلاحظ لدى الناس من أن لكل واحد منهم أسلوباً ينفرد به في الإنشاء الأدبي، وفي سرعة تحصيل العلم والمعرفة. ومن هنا طوّل القائمون على عملية التعلم ابتداءً من الأنبياء إلى الأساتذة والمربين بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم.

الحث على الممارسة والتحلي بالتدرج والتكرار في عرض المادة:

يرى ابن خلدون أن الطريقة الناجعة في تلقين العلوم إنما يكون: "مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلاً يلقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم..." (36). فيجب على المعلم أن يذكر للمتعلم إلا ما يستطيع تحمله، مراعيًا قدراته واستعداداته على تلقي تلك المادة العلمية، وأن يبتعد عن التعقيد ويتقيد بالتدرج في عرض أية مسألة علمية، باعتبار التدرج أحد المبادئ المساهمة في نجاح العملية التعليمية، ويكون ذلك ببدء المعلم بالشيء الواضح من العلم قبل الغامض، وبالنسب قبل المعقد، وبالجزء قبل الكل، وبالعملي قبل النظري، وبالمحسوس قبل المجرد، فلا يبدأ بالعويص من المسائل فيغرق في أمور لا يحتملها، فيؤدي به إلى الفشل، كما ينبغي على المعلم الاستيفاء بالشرح والبيان، ولا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً إلا وضح، وهذا في رأي " العلامة ابن خلدون" وجه التعليم المفيد والصحيح، ولن يكون مثمراً إلا من خلال التكرار: "... وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك..." (37). فالتكرار إذن مبدأ ضروري لتكوين الملكة؛ لكونه عاملاً أساسياً لتحقيق عملية التعلم، ذلك أن الملكة لا تحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتقن لخواصه تركيبه، فهذا التحديد للملكة اللسانية من قبل ابن خلدون نراه صالحاً لأن يكون المقابل العربي لمفهوم الكفاية عند نواص تشو مسكي، وكثرة التكرار تؤدي إلى الحفظ الذي يزيد صاحب الملكة رسوخاً وقوة، ولا يحصل ذلك إلا بعد فهم كلام العرب. ولعل هذا ما تقره اللسانيات التربوية الحديثة، حيث يعمل المربون حديثاً بهذه المبادئ-التدرج، والتكرار والحث على الممارسة- في تلقين العلوم.

ثانياً : شروط المتعلم:

1- الإصغاء (السمع): إن المتعلم مطالب في بداية تعليمه بالإصغاء لمعلمه واستيعاب العلوم المختلفة عنه قبل أن يتطرق للاختلافات من المذاهب، ذلك أن السمع أو الإنصات هو أبو الملكات اللسانية في نظر " ابن خلدون"، فالشيء الذي يعين المتعلم على فتح لسانه بالمحاوراة والكلام والمناظرة، هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، إذ يسمع ثم يقلد أو يردد ما

يسمعه، وهذا ما طرقه" ابن خلدون" في معرض تفسيره لقول العامة أن اللغة للعرب بالطبع، حيث يقول: "قالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها... ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم" (38). فالتعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده "لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب أساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه". (39).

وقد أكد علم اللسان التربوي الحديث على ضرورة الاهتمام بملكة السمع باعتبارها الحاسة الأولى المساهمة في عملية التعلم، وهو من المبادئ اللسانية التربوية التي أقرها، ويسمى عند جمهور اللسانيين التطبيقيين "الحمام اللغوي أو الانغماس اللغوي" bainlinguistique⁽⁴⁰⁾ وهي تأتي في المرتبة الأولى؛ ذلك أن الإنسان يسمع قبل أن يتكلم.

وهذه الملكة تحصل في رأي ابن خلدون: "... بممارسة كلام العرب وتركه على السمع والتقطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك..." (41).

والظاهر لنا جلياً أن الرجل قد أعطى السمع الأولوية في امتلاك ناصية العلم، معتبرا إياه أباً لجميع الملكات؛ ذلك: "إن الطبيعة وهبت الإنسان لساناً واحداً، ولكنها وهبته أذنين... والحكمة في ذلك هي أن يسمع ضعف ما يتكلم" (42) ونجد "ل. بلومفيلد" يشارك ابن خلدون في إعطاء ملكة السمع درجة من الأهمية، حيث استغل المنهجية السمعية الشفهية في تحليله التوزيعي للغة وفق المحورين الصرفي والتركيبي، إذ من خصائص هذه المنهجية (43):

1. الاهتمام بالمنطوق والمسموع قبل المقروء والمكتوب ومن ثمة العمل على تنمية اللغة الشفهية .
2. تقديم اللغة المراد تعليمها في شكل حوار يسجل على أشرطة مغناطيسية تتحول بعد ذلك إلى مخابر اللغات.
3. الاعتماد على التكرار الشفهي المكثف من أجل ترسيخ الجمل المثالية .
4. التكتيف من المحاكاة والحفظ ثم استعمال التمارين البنوية.

2- الاستعداد : على المتعلم الاستعداد للتعلم والتفرغ للعلم، والابتعاد عن إغراءات الدنيا

وشهواتها: "فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً..." (44). ولن يتأتى ذلك إلا بإقامة علاقة عاطفية بين المعلم والمتعلم، والتدرج بالمتعلم مع تشويقه للمادة المراد تلقينها، وهذا بعد دراسة نفسيته واستعداداته العقلية: "واعلم أيها المتعلم أنني أتحنك بفائدة في تعلمك فإن تلقينها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ... ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداه من خطئه..." (45)

ودعا ابن خلدون المتعلم إلى ضرورة التحلي بالمنطق والاستمطار برحمة الله متى أقفلت وأعوز عليه فهم المسائل ، فالعلم من عند الله (46).

ويعد قانون الاستعداد من المبادئ التي اعتمدها العالم "ثورندايك" في نظريته التعليمية، والهدف من ورائه هو توضيح معنى الارتياح والانتعاج، ورأى أنه مفيد بالنسبة للتعلم الإنساني بصورة خاصة. (47)

3- مرافقة وملازمة شيوخ العلم والرحلة في طلب العلم:

إن ترسيخ ملكة العلم يكون بملازمة رجال العلم، ذلك أن طرائق شيوخ العلم متعددة، فلكل طريقته الخاصة في تلقين العلوم، وعلى المتعلم الذي يريد الاستزادة من العلم وتقوية ملكته ملازمة الشيوخ، والرحلة إن اقتضى الأمر للقاء بشيوخ العلم: "فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم..."

فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته..." (48).

وقد أشار النبي ﷺ صراحة في معنى قوله، أنه من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رهنأطلب العلم.

الخاتمة

صفوة القول إن العلامة "ابن خلدون" يعد بحق موسوعة علمية، تناولت شتى حقول المعرفة العلمية، وأفكاره التربوية لا تقل أهمية عما تذهب إليه اللسانيات التربوية الحديثة، بل يمكننا القول أن له فضل السبق إلى كثير منها، وبخاصة ما تعلق بطريقة التدريس، والتي نبه فيها المعلم إلى ضرورة توخي التدرج والتكرار في عرض المادة العلمية، والتحلي بمبدأ التشويق، مع مراعاة استعدادات المتعلمين، والأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية بين المتعلمين في أثناء تلقين العلوم، أضف إلى ذلك تمييزه الصريح بين اللغة كملكة، واللغة كصناعة؛ أي بين نوعين من المعلومات - المعلومات الخاصة بالملكة والمعلومات الخاصة بالصناعة-، فالنوع الأخير هو اللغة كنظام وعلم مجرد وقوانين. ويمثل هذا النوع جانب البحث. أما النوع الثاني فهو اللغة كإنجاز أو تحقيق فعلي في صورة كلام أو كتابة ويمثل هذا النوع جانب الاستعمال⁽⁴⁹⁾ ومن ثم يمكننا وصفه بالباحث اللساني السابق لعصره، فقد تنبه إلى عديد من الأفكار اللسانية التربوية التي يدعو إليها علم اللسان التربوي الحديث، وبخاصة ما تعلق بالشروط الواجب توفرها في المعلم والمتعلم. فالسمع عنده "أبو الملكات"؛ إذ الملكة اللسانية عنده تعني المعرفة التي يكتسبها متكلم اللغة السليقي عن لغته كلاماً وفهماً، ولا تحصل إلا بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتقطن لخواص تركيبه، فالإنسان يسمع قبل أن يتكلم وهذا ما تدعو إليه مختلف الطرائق المنتهجة حديثاً في تعليم العلوم.

لم يكن فضل المقدمة "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" على العلوم فحسب، بل كان فضلها عظيماً على الآداب، فكما أفادت العلوم بموضوعاتها، ومادتها؛ لأنها أسست علماً جديداً هو علم الاجتماع، فقد أفادت الآداب بشكلها وصياغتها وأحدث أسلوباً عربياً قديماً، فقد تحدث عن الموشح، والأزجال، والبلاغة، وانقسام الكلام إلى فني النظم والنثر، وفي صناعة الشعر ووجه تعليمه .

إن ابن خلدون غلبت عليه سمة المصلح الاجتماعي الذي يضحى بقوته كلها وإمكاناته في سبيل تقدم الفرد والمجتمع على السواء؛ لذلك كان في أقواله وأعماله مرآة تعكس أو ضاع المجتمع وحاجياته، فهو يقوم أولاً بتشخيص أمراض مجتمعه وعمله وأسقامه، ثم يشرع في الدعوة إلى الإصلاح، بتقديم شتى الأساليب والحلول التي تستند إلى رجاحة العقل والتفكير، ولعل هذا إن دل على شيء، إنما يدل على أصالة فكره وقدرته الإبداعية في صياغة فكر إنساني أصيل، أسهم مساهمة فعالة في المعرفة الإنسانية.

الهوامش

1. عبود ، عبدالغني (1977) ، في التربية الإسلامية ، ص 148
2. عبدالرحمن ، عائشة (1970) ، تراثنا بين ماضي وحاضر ، ص 138
3. عبود ، عبدالغني (1978) ، دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، ص 200
4. عاقل ، فاخر (1983) ، قاموس التربية ، ص 27
5. النجيجي ، محمد (1967) ، مقدمة في فلسفة التربية ، ص 117
6. علي ، سعيد (1978) ، أصول التربية الإسلامية ، ص 6
7. أبو لوي ، أمين (1999) ، أصول التربية الإسلامية ، ص 18
8. مرسي ، محمد ، (د . ت) ، تاريخ التربية بين الشرق والغرب ، ص 6
9. زياد ، مصطفى (200) ، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره ، ص 24
10. الخطيب ، محمد وآخرون (1995) ، أصول التربية الإسلامية ، ص 44

11. الخطيب ، محمد وآخرون (1995) ، أصول التربية الإسلامية ، ص 44
12. الزركلي ، خير الدين ، د . ت ، الأعلام الجزء الرابع ، ص 106
13. عنان ، محمد (1933) ، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ، ص 12
14. الإبراشي ، محمد (1395) ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ص 273
15. علي ، سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي محمد ، 2004 ، التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ، ص 211
16. خضر، فخري (1982) ، تطور الفكر التربوي ، ص ص158-159
17. المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ص208 ، 237
18. ابن خلدون، المقدمة، ج 1، دار الجيل، بيروت، ص 589
19. ابن خلدون، المقدمة ، ص 442
20. ابن خلدون، المقدمة ، ص 442
21. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، ص 79
22. أبوحامد الغزالي،الإحياء طبعة عيسى البابي الحلبي، ص21
23. ابن خلدون، المقدمة ، ص 428
24. جمانة البخاري، التعلم عند الغزالي، ص 155
25. ابن خلدون، المقدمة، ص 597
26. ابن خلدون، المقدمة ، ص 428
27. نقلا عن السيد أحمد الهاشمي،القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج"الألفية"لابن مالك و خلاصة الشراح لابن هشام وابن عقيل الأشموني، ص 4 .
28. الجاحظ، رسائله، تحقيق عبد السلام هارون، ص 38
29. ابن خلدون، المقدمة، ص 700
30. ابن خلدون، المقدمة، ص 588
31. ابن خلدون، المقدمة، ص 589
32. ابن خلدون، المقدمة، ص 423
33. محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، ص 280
34. ابن خلدون، المقدمة، ص 589
35. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، ص 225
36. ابن خلدون، المقدمة، ص 589
37. ابن خلدون، المقدمة، ص 589
38. ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 723.

39. ابن خلدون، المقدمة، ص 594
40. ترجم عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح " Bain linguistique" بـ"الانغماس اللغوي" وهو مصطلح عربي أصيل- ينظر بشير ابرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، الملتقى الوطني الثاني "الصوتيات بين التراث والحداثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، البليدة، نيسان 2002، ص 38.
41. ابن خلدون، المقدمة، ص 455
42. نقلاً عن حنفي بن عيسى، المرجع نفسه، ص 89
43. حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، ص 91
44. ابن خلدون، المقدمة، ص 589
45. ابن خلدون، المقدمة، ص 591
46. ابن خلدون، المقدمة، ص 592
47. Thorndike.E.L , Human learning , p1
48. المصدر نفسه، ص 598
49. محمد صاري، الفكر اللساني التربوي في التراث العربي مقدمة ابن خلدون نموذجاً الملتقى الوطني الثاني "الصوتيات بين التراث والحداثة، جامعة سعد دحلب، نيسان 2002 م ، ص 93.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون ، عبدالرحمن ، (د.ت) ، المقدمة تحقيق علي عبدالواحد. القاهرة : بدون اسم الناشر .
2. ابن خلدون، المقدمة، ج 2، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م .
3. ابن خلدون، المقدمة، ج 1، دار الجيل، بيروت
4. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة عيسى البابي الحلبي، ج 3، القاهرة، 1957 م .
5. أبولوي ، أمين . (1999) . أصول التربية الإسلامية. الدمام . دار ابن الجوزي .
6. الإبراشي ، محمد (1395) . التربية الإسلامية وفلاسفتها . مصر : مطبعة الحلبي .
7. الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط 1، مصر 1979 م .
8. الخطيب ، محمد ومصطفى متولي ونور الدين عبد الجواد ومحروس غيان وفتحية الفزاني . (1995) . أصول التربية الإسلامية . الرياض : مكتبة الخريجي .
9. الزركلي ، خير الدين . (د.ت). الأعلام الجزء الرابع . بدون اسم الناشر ومكان النشر .
10. السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج "الألفية" لابن مالك و خلاصة الشرح لابن هشام وابن عقيل الأشموني، دار الكتب العامة، بيروت.
11. المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار التونسية للكتاب، ط 2، تونس، 1986م .
12. النجيجي ، محمد . (1967). مقدمة في فلسفة التربية . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
13. بشير ابرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، الملتقى الوطني الثاني "الصوتيات بين التراث والحداثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سعد دحلب، البليدة، نيسان 2002 م .
14. جمانة البخاري، التعلم عند الغزالي، المؤسسة الوطنية للكتاب
15. حفيظة تازروتي، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، دار القصة للنشر الجزائر، 2003 م .
16. حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعية، ط

3، الجزائر .

17. خضر، فخري . (1982) . تطور الفكر التربوي . دار الرشيد للنشر والتوزيع . بدون مكان النشر .
18. زياد ، مصطفى . (2002) . الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره . الرياض: مكتبة الرشد .
19. عاقل ، فاخر . (1983) . قاموس التربية . بيروت : دار القلم .
20. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرقي، دار اقرأ، بيروت ، 1984م .
21. عبدالرحمن ، عائشة . (1970) . تراثنا بين ماضي وحاضر. القاهرة : دار المعارف .
22. عبود ، عبدالغني . (1977) . في التربية الإسلامية. القاهرة : دار الفكر العربي .
23. عبود ، عبدالغني . (1978) . دراسة مقارنة لتاريخ التربية . القاهرة : دار الفكر العربي .
24. علي ، سعيد . (1978) . أصول التربية الإسلامية. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
25. علي ، سعيد ومحمد الحامد وعبد الراضي محمد . (2004) . التربية الإسلامية المفاهيم والتطبيقات . الرياض : مكتبة الرشد .
26. عنان ، محمد . (1933) . ابن خلدون حياته وتراثه الفكري . القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .
27. محمد صاري، الفكر اللساني التربوي في التراث العربي مقدمة ابن خلدون نموذجاً، الملتقى الوطني الثاني"الصوتيات بين التراث والحداثة،جامعة سعد دحلب،نيسان 2002 م .
28. محمد فاروق النبهان، الفكر الخلدوني من خلال المقدمة، الرسالة للطباعة والنشر، 1998 م .
29. مرسي ، محمد . (د.ت) . تاريخ التربية بين الشرق والغرب. مصر : عالم الكتب .
30. Thorndike .E.L , **Humanlearning**, Princeton University Perss , N . J . 1986

